دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	النجاة في ضوء القرآن الكريم : دراسة موضوعية
المؤلف الرئيسي:	الجربوع، عبد العزيز بن محمد عبد الرحمن
مؤلفين آخرين:	العيدي، محمد بن عبد االله بن محمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2012
موقع:	بريدة
الصفحات:	1 - 877
رقم MD:	613050
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة القصيم
الكلية:	كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
الدولة:	السعودية
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم، النجاة، التفسير الموضوعي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/613050

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفصل السابع: ما يشرع بعد النجاة

(وفيه أربعة مباحث):

المبحث الأول: الاعتراف بالفضل وعدم نسيان النعمة.

المبحث الثاني: حمد الله وشكره.

المبحث الثالث: التقوى والتوكل.

المبحث الرابع: الحذر من البغي.

المبحث الأول: الاعتراف بالفضل وعدم نسيان النعمة:

الاعتراف بالفضل شيمة الفضلاء، وعدم نسيان الجميل صفة الكرماء، ونكران الجميل كفرٌ قبيح حتى لو كان في حق إنسان[١] فكيف إذا كان في حق الله تعالى؟!. وكلما عَظُمت النعمة كلما عَظُم قبح نكرانها. وإن أعظم النِعَم التي يمن بها أحدٌ على أحدٍ أن ينجيه من مصيبة، وكلما كانت المصيبة التي نجا منها أشد كانت النعمة أعظم، ولذا فلابد للشهم من الاعتراف بهذه النعمة لصاحبها، وإلا فهو مذموم شرعاً وعُرفاً.

إن الاعتراف بالفضل هو مبدأ الشكر، ولذا حَسُن تقديمه عليه، وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تأمر مَنْ نجا مِن محنة أو مصيبة أن يعترف للمُنجي بالفضل، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ابراهيم: ٦؛ فهو أمرهم بذكر هذه النعمة، والمراد بذكرها: عدم جهلها وتعظيم موقع المنة فيها[٢]، قال السعدي:قوله: {اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} أي: اذكروها بقلوبكم وألسنتكم[٣]. وقد أمر الله المؤمنين بنفس المعنى في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾المائدة:١١؛ فقوله: {أذكروا نعمة الله عليكم} أمرٌ

---

(١) بيّن النبي-ﷺ-أن النساء هن أكثر حطب جهنم، وبيّن أن سبب ذلك كفرهن العشير، قال-ﷺ-: "أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء؛ يكفرن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط"[أخرجه البخاري١/١٤حديث٢٩، كتاب الإيمان،باب كفران العشير وكفر دون كفر].

(٢) انظر:غريب الحديث للخطابي٢/٢٤٨.

(٣) انظر: تفسير السعدي ص٤٢٢.

بذكر النعمة، والنعمة التي أمرهم بذكرها "هي كفُّه أيدي قوم همُّوا بالبطش بهم، فحال بينهم وبين ما أرادوه بهم، وأنجاهم منهم[١] وقد أختلف في تعيين تلك النجاة[٢]، والمهم أنه أمرهم بعدم نسيان نعمة النجاة التي أنعم بها عليهم. ومثل هذه الآية قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ ﴾الأحزاب: ٩ – ١٠؛ فأمرهم بهذه الآية بذكر النعمة التي أنجاهم الله بها من شر الأحزاب، قال الطبري:" يقول تعالى ذكره:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} التي أنعمها على جماعتكم؛ وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله-ﷺ-أيام الخندق حين تجمع جنود الأحزاب: قريش، وغَطفان، ويهود بني النضير[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري١/١٠٠.

(٢) وقد أختلف في تعيين النجاة المرادة هنا؛ **فقيل**: المراد استنقاذ الله نبيه محمدا-ﷺ-وأصحابَه مما كانت اليهود من بني النضير همُّوا به يوم أتاهم النبي-ﷺ-يستقرضهم دية قتل خطأ كان أحد المسلمين قد تحملها، فجلس خلف جدار؛ فقال بعضهم لبعض: إنكم لن تجدوا محمدًا أقرب منه الآن، فَمَن رجلٌ يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه؟ فأتى رسولَ الله-ﷺ-الخبرُ، وانصرف عنهم-ورجح هذا الطبري-. **وقيل**: إن قوما من اليهود صَنَعوا لرسول الله-ﷺ-وأصحابه-ﷺ- طعاما ليقتلوه إذا أتى الطعام، فأوحى الله إليه بشأنهم، فلم يأتِ الطعام، وأمرَ أصحابه فلم يأتوه. **وقيل**: المراد إنجاء الله لهم يوم بطن نخل(غزوة ذي أمر-بنجد) من ما هم به المشركون من قتل المسلمين في حال غِرَّتِهم واشتغالهم بصلاتهم، فأعلمهم الله صلاة الخوف. **وقيل**: المراد ما كان في أحد الغزوات حين أنّ نزل النبيّ-ﷺ-وأصحابه منزلا فتفرّق الناس في العِضاه يستظِلُّون تحتها، وعلَّق النبي-ﷺ-سلاحَه بشجرةٍ، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله-ﷺ-وأخذه فسلَّه، ثم أقبل على النبي ﷺ، فقال-مرتين أو ثلاثا-: من يمنعك مني؟ فقال النبي-ﷺ-:"الله"، فشامَ الأعْرابي السيف-يعني أغمده- فدعا النبي-ﷺ-أصحابه فأخبرهم خبرَ الأعرابيّ، وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه.[انظر:تفسير عبد الرزاق٢/١٠، وتفسير الطبري١٠/١٠٠].

(٣) انظر: تفسير الطبري٢٠/٢١٤.

ومثلها-من حيث الأمر بعدم نسيان نعمة النجاة- قوله سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾الأنفال: ٢٦، فهو أمر بذكر نعمة النجاة من الاستضعاف الذي كان المسلمون يعيشونه أول الأمر؛ قال السمرقندي: "قوله:{واذكروا إذ أنتم قليل} يعني: واحفظوا نعمة الله عليكم إذ كنتم قليلا في العدد-وهم المهاجرون والأنصار- {مستضعفون في الأرض} يعني: مقهورون في أرض مكة، {تخافون أن يتخطفكم الناس} يعني: يختلسكم الناس ويذهب بكم الكفار وهم أهل فارس والروم {فآواكم} بالمدينة، {وأيدكم} يعني: وقواكم وأعانكم {بنصره} يوم بدر"[(١)].

وبهذا يتبين أن من مستحقات النجاة تَذَكُّرُها، والاعتراف بها لمسديها، وإنما يتحقق ذلك بعدم جهلها، وبتعظيم موقع المنة فيها[(٢)].

ومن الخطأ الكبير؛ الذي يقع فيه كثيرٌ من الناس؛ نسبة النعمة إلى السبب، فالسبب من تيسير الله، فيجب أن يحمد الله على السبب والنتيجة، ولا تنسب النعمة للسبب أبداً[(٣)].

---

(١) بحر العلوم٢/١٦.

(٢) انظر:غريب الحديث للخطابي٢/٢٤٨.

(٣) قد مرّ سابقاً أن السلف عدّوا نسبة النِعم إلى السبب من الشرك؛ وذكروا من أمثلته قول الرجل: لولا البط في الدار لأتانا اللصوص، ولولا كلبية فلان لأتانا اللصوص، ومنه قولهم إذا نجوا من الغرق: كانت الريح طيبة والملاح حاذقاً، وقول من كان غنياً بسبب الإرث: هذا مالي ورثته عن آبائي؛ عدّ السلف كل ذلك من الشرك ؛ لما فيه من نسبة النعمة إلى السبب؛ ويكون في بعض الحالات شركٌ أكبر.[انظر: هذه الرسالة؛ ص٦٣٣، حاشية(٢)].

المبحث الثاني:حمد الله وشكره:

من استحقاقات النجاة على مَنْ أُنجي الحمد والشكر، فهما حقان واجبان على الناجي لمقابلة نعمة النجاة. قد بيّن القرآن ذلك في عددٍ من آياته الكريمة.

إن من المستحسن بيانه قبل ذكر آيات القرآن الدالة على ذلك توضيح معنى الحمد والشكر؛ ويقال في ذلك:

بيان معنى الحمد والشكر:

الحمد والشكر؛ اسمان لحقيقتين مختلفتين عند الأكثر، وبعضهم يرى ترادفهما – وهو خطأ[١]– والحق أنهما متداخلتان، **فالحمد**: الثناء بالجميل على الصفات والأفعال والنعم[٢]، وقيل: الثناء باللسان على جميل الفضائل[٣] أو الفواضل[٤].

والشكر: مقابلة الإحسان بالعرفان والثناء باللسان والقلب والجوارح[٥]. وأصله: تصور النعمة وإظهارها[٦]. وشكر الله:"ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافا، وعلى قلبه: شهودا ومحبة، وعلى جوارحه: انقيادا وطاعة"[٧]. وأوجب الشكر:أن لا تُسْتَعْمَل النعمة في معصية المنعم[٨].

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري٢/٦٤.

(٢) انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي للأزهري ص٩٤.

(٣) يعني: كالكرم والشجاعة والعلم.

(٤) انظر: الفروق لأبي هلال العسكري١/٢٠١.

(٥) انظر:كتاب العين؛ مادة(شكر)، وتهذيب اللغة؛ماد(شكر)، ولسان العرب؛مادة(شكر).

(٦) انظر: الكليات ص٨٤٣.

(٧) مدارج السالكين٢/٢٤٤.

(٨) قال الجنيد:كنت بين يدي السريِّ ألعب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر، فقال لي: يا غلام، ما الشكر؟ فقلت: ألا تعصي الله بنعمة. فقال: يوشك أن يكون حظك من الله

والفرق بين الحمد والشكر: أن الشكر لا يكون إلا في مقابلة نعمة، بخلاف الحمد فإنه يكون على النعمة وعلى الأوصاف الكريمة؛ كالشجاعة والوفاء. وفرق آخر: أن الشكر يكون باللسان والقلب والجوارح، وأما الحمد فيكون باللسان دون القلب والجوارح[١]. وعلى هذا فالشكر أعم من جهة أنواعه[٢] وأخص من جهة متعلقاته[٣]، والحمد بالعكس- فبينهما عموم وخصوص-[٤]. وقد اعترض بعضهم على هذا بأن ما يكون باللسان دون القلب كذب، فكيف يكون حمداً؟ وأجاب عنه الشوكاني بالتفريق بين الشطر والشرط، فوجود اعتقاد القلب في الشكر جزء منه وشطر، وأما وجوده في الحمد فشرط لا شطر[٥]. وعلى هذا فالحمد والشكر يجتمعان ويفترقان؛ "فيجتمعان في الثناء باللسان في مقابلة نعمة، وينفرد الحمد فيما إذا كان باللسان لا في مقابلة نعمة، وينفرد الشكر فيما إذا كان بغير اللسان في مقابلة نعمة"[٦].

الحمد على نعمة النجاة:

النجاة نعمة عظيمة، ومن استحقاقات النجاة حمد المُنْجي. وقد دل القرآن على ذلك من خلال بيانه ما أمر الله به نوحاً-عليه السلام-حينما أنجاه الله من الكفار، ومن العذاب الذي أهلكهم الله به؛ قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ

لسانك. قال الجنيد-رحمه الله-:فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري.[انظر:الرسالة القشيرية ص١٧٥].

(١) انظر: تاج العروس؛ مادة(شكر).

(٢) فأنواعه ثلاثة: شكر لسان، وشكر قلب، وشكر جوارح.

(٣) فمتعلقه النعمة فقط، دون كمال الأوصاف: كالعدل، وعِظم القدرة، والرحمة.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: فتح القدير ١/٣٠.

(٦) شرح ابن عيسى للنونية ١/١٦.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ المؤمنون: ٢٨؛ فهذا أمرٌ من الله لنوح-عليه السلام-ومن معه من المؤمنين[١] أن يحمدوا الله تعالى على أن نجاهم من الكفار بهلاكهم[٢]؛ يحمدوا الله على نجاتهم من عملهم، ومن عذابهم[٣]، ويحمدوا الله على نجاتهم من أذاهم، ومن الكون فيهم؛ فإن في الكون بينهم مشاهدة كفرهم ومناكرهم وذلك مما يؤذي المؤمن[٤].

وفعلاً فعل نوحٌ-عليه السلام- ومن معه ذلك؛ فحمدوا الله تعالى؛ فنتج عن ذلك الحمد فائدة عظيمة، أشارت إليها الآية، وقد انتبه إلى ذلك إسماعيل حقي فقال:"لما حمد نوح عليه السلام بقوله:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}؛ وجد السلامة حيث قال تعالى: {يا نُوحُ اهْبِطْ بسلامٍ مِّنَّا}؛ فلابد من الحمد على السلامة؛ سواء كانت من جهة الدين، أو من جهة الدنيا، إذ كل منهما نعمة"[٥]. وهناك فائدة انتبه إليها الآلوسي، وهي أن الله-عز وجل- قال له: قل: الحمد لله الذي نجانا، ولم يقل: قل: الحمد لله الذي أهلكهم؛ لأن نعمة الإنجاء أتم[٦].

وفي آية أخرى من كتاب الله علَّم الله عباده حمدَه على نعمة النجاة، وذلك في قوله سبحانه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ الأنعام: ٤٥؛ فحمد الله نفسه على إهلاكه القوم الظالمين تعليماً من الله لعباده أن يحمدوه على مثل ذلك[٧]؛ فإهلاك الكفار والفجار نعمة تستحق الحمد لما فيه من تطهير للأرض، ونجاة أهلها من وسخ شركهم،

---

(١) قال الرازي:" قال: {فَقُلْ} ولم يقل: فقولوا؛ لأن نوحاً كان نبياً لهم، وإماماً لهم؛ فكان قوله قولاً لهم".[انظر:مفاتيح الغيب٢٣/٨٣].

(٢) انظر: تفسير البيضاوي٤/١٥٣. وتفسير أبي السعود٦/١٣٢.

(٣) انظر: تفسير السعدي ص٥٥١.

(٤) انظر: التحرير والتنوير١٨/٣٩.

(٥) روح البيان٣/٢٥.

(٦) انظر: روح المعاني٩/٢٣٠.

(٧) انظر:بحر العلوم١/٤٦٩، وتفسير القرطبي٦/٤٢٧، وفتح القدير٢/١٦٩، وروح المعاني٤/١٤٤.

ومن إضلالهم[١]، ومن شؤم عقائدهم وأعمالهم، وذلك نعمة جليلة تستحق أن يحمد الله عليها[٢]. فهذه الآية كسابقتها من هذه الحيثية[٣].

وبهذا يتبين أن من مستحقات النجاة التي دل عليها القرآن حمد المنجي والثناء عليه.

الشكر على نعمة النجاة:

من مستحقات النجاة التي دل عليها القرآن الكريم شكر المنجي على النجاة، وذلك لأن النجاة من أعظم النعم، والنِعَم موجبة للشكر. ومن الآيات التي دلت على ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام:٦٣ – ٦٤؛ فقولهم:{لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين}؛ قَسَمٌ منهم على أنهم سيشكرون لله نعمته عليهم بالنجاة إن حصلت لهم[٤]، فهو وعدٌ منهم مؤكد بالقسم أنهم سيشكرون نعمة النجاة. وفي قوله في الآية التالية:{قل الله ينجيكم منها ومن كل كربٍ ثم أنتم تشركون}؛ بيان أنهم عندما تحققت لهم النجاة لم يشكروا الله الذي أنجاهم بل أشركوا به، وهذا كفرٌ منهم

(١) انظر: روح المعاني٩/٢٣٠، وتفسير المراغي١٨/٢٠.

(٢) انظر: تفسير البيضاوي٢/٤٠٩.

(٣) انظر:مفاتيح الغيب٢٣/٨٣، وتفسير البيضاوي٤/١٥٣، وتفسير أبي السعود٦/١٣٢، والبحر المديد٥/٢٠، وفتح القدير٣/٦٩٠.

(٤) انظر: البحر المحيط٤/٥٤٢، وتفسير المنار٧/٤٠٧، والتحرير والتنوير٦/١٤٥.

بنعمته عليهم بالنجاة[١]، ونسيانٌ لها[٢]، وحنث بيمينهم وإخلاف لوعدهم بالشكر[٣]. قال الطبري: عدم شكرهم نعمة النجاة جهل منهم بواجب حقه عليهم، وكفر لأياديه عندهم[٤].

وهناك في كتاب الله آية أخرى ذكرت هذا المعنى-أيضاً- وهي قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يونس: ٢٢؛ فقولهم: {لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين}؛ يقال فيها نفس ما قيل في الآية قبلها.

إن الآيتين السابقتين تبينان أن شكر المنعم على نعمة النجاة حقٌ واجبٌ مستقرٌ في فطر الخلق، ولذا كان المشركون عندما يتعرضون للشدائد التي تزيح عن قلوبهم ما عليها من الأغشية يتعهدون بالقيام بالشكر. كما بينت الآيتان أن عدم شكر المنعم بالنجاة من قبيح الخصال المذمومة بالفطر السليمة، بل قد كان العرب مع أنهم في جاهلية إلا أنه كان من عاداتهم أنهم يرون الشكر حقا عظيما، ويعيرون من يكفر النعمة[٥]، ولم يزد الإسلام هذا المعنى إلا تأكيداً.

---

(١) انظر: البحر المحيط٤/٥٤٢، والتحرير والتنوير٦/١٤٥.

(٢) انظر: تفسير السعدي ص٢٦٠

(٣) انظر: تفسير المراغي٧/١٥٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري١١/٤١٦.

(٥) انظر: التحرير والتنوير٦/١٤٥.

المبحث الثالث: التقوى والتوكل:

من مستحقات النجاة على من أنجاه الله: تقواه، والتوكل عليه. وذلك لأن من أنجي من هلكة؛ فقد تبين له من الواقع الذي مرَّ به قدرة الله على استنقاذه من المهالك؛ فجديرٌ به أن يجعل كل اعتماده على الذي أنجاه من الورطة في زمن الشدة.

وقد دلَّ القرآن على أنه يجب على من أنجي تقوى الله والتوكل عليه في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾المائدة: ١١؛ فالله تعالى قد أنجى المؤمنين ممن أراد بهم سوءاً؛ فحال بين أولئك القوم وبين ما أرادوه بالمؤمنين[١]، وعقَّب الله تلك الآية الآمرة بذكر نعمة النجاة؛ بالأمر بالتقوى والتوكل، وذلك في قوله: {وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ }، قال الطبري: على المؤمنين الذين أنجاهم الله من شر من أراد بهم سوءا فكف أيديهم عنهم: التقوى والتوكل؛ فإن ذلك من كمال دينهم وتمامِ إيمانهم، وأنّهم إذا فعلوا ذلك كلأهم ورعاهم وحفظهم ممن أرادهم بسوء، كما حفظكم ودافع عنكم أيها المؤمنون اليهودَ الذين همُّوا بما همُّوا به من بسط أيديهم إليكم، كلاءَةً منه لكم، وغير الله لا يطيق دَفْع سوءٍ أراده بكم ربُّكم ولا اجتلابَ نفعٍ لكم لم يقضه لكم[٢].

إن الآية العظيمة تبين أن من استحقاقات النجاة على من أنجاه الله من شدة أن يتقيه ويتوكل عليه، فقد بيّن الله في الآية السابقة أنه أرى المؤمنين الذين كفاهم الله شرَّ الناس من خلال إنجائهم ممن أراد بهم سوءاً: عنايته بمن توكل عليه واتقاه، فليلزم التقوى والتوكل من حصلت له النجاة، ويتضح ذلك من نقل ما في تفسير المنار عن قول الله تعالى:{واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون}:"وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَرَاكُمْ قدرته على أعدائكم وقت ضعفكم

---

(١) انظر: تفسير الطبري١/١٠٠.

(٢) انظر: المرجع السابق١٠/١٠٨.

وقوتهم، وَتَوَكَّلُوا عليه وحده، فقد أراكم عنايته بِمَنْ يَكِلُونَ أمورهم إليه؛ بَعْدَ مُرَاعَاةِ سُنَنِهِ، وَالسَّيْرِ عَلَيْهَا، فِي اتِّقَاءِ كُلِّ مَا يُخْشَى ضُرُّهُ وَسُوءُ عَاقِبَتِه، {وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} بقدرته وعنايته وفضله ورحمته، لا على أَنْفُسِهِمْ أَنْفُسِهَا، وَلا على أوليائهم وحلفائهم؛ لأن هؤلاء قد يَغْدِرُونَ كَمَا غَدَرَ بنو النضير وغيرهم؛ ولأن أَنْفُسَهُمْ قَدْ يَكْثُرُ عَلَيْهَا الْأَعْدَاءُ، وَتَتَقَطَّعُ بِهَا الْأَسْبَابُ، فَتَقَعُ بَيْنَ أَمْوَاجِ الحيرة والاضطراب، حَتَّى تَفْقِدَ الْبَأْسَ، وَتُجِيبَ دَاعِيَ الْيَأْسِ، وَلَا يَقَعُ هَذَا لِلْمُؤْمِنِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ إِذَا هَمَّ أَنْ يَيْئَسَ مِنْ نَفْسِهِ بِتَقَطُّعِ الأسباب، وَتَغْلِيقِ الأبواب، وَتَغَلُّبِ الْأَعْدَاءِ، وَتَقَلُّبِ الْأَوْلِيَاءِ، يَتَذَكَّرُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى وَلِيُّهُ وَوَكِيلُهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ، فَتَتَجَدَّدُ قُوَّتُهُ، وَتَنْفَتِقُ حِيلَتُهُ، فَيَفِرُّ مِنْهُ الْيَأْسُ، وَيَتَجَدَّدُ عَنْهُ مَا اخْلَوْلَقَ مِنَ الْبَأْسِ، فَيَنْصُرُهُ اللهُ تَعَالَى بِمَا يَسْتَفِيدُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالذِّكْرَى وَالتَّوَكُّلِ، وَمَا يَخْذُلُ بِهِ عَدُوَّهُ وَيُلْقِي فِي قَلْبِهِ مِنَ الرُّعْبِ، وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ عِنَايَتِهِ -ﷻ- الَّتِي رَآهَا كُلُّ مُتَوَكِّلٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْكَمَلَةِ، مَعَ سَيِّدِ الْمُتَوَكِّلِينَ مُحَمَّدٍ -ﷺ- أَيَّامَ ضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، وَتَأَلُّبِ الناس كلهم عليهم"[1].

(١) انظر: تفسير المنار٦/٢٣٠.

المبحث الرابع: الحذر من البغي:

معنى البغي:

البغي: تجاوز حد الشيء ومقداره[١]. يقال: بغى الجرح: إذا تجاوز الحد في فساده، وبغت المرأة: إذا فجرت؛ وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها، وبغت السماء: تجاوزت في المطر حد المحتاج إليه، وبغى الرجل: تكبر، وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له[٢]. ويطلق البغي على الطلب[٣]؛ يقال: بَغَى الرجلُ حاجتَه يبغيها بُغاءً: إذا طلبها[٤]، وبَغَيْتُ الشّيء أَبْغيه بُغاء: طلبته[٥]. والمقصود هنا: المعنى الأول.

بيان كون ترك البغي من استحقاقات النجاة:

من الثمرات التي يستنبطها أولوا الألباب من النجاة: معرفة ضعفهم، وقلة حيلتهم، وشدّة حاجتهم. يتبين للناجي كل ذلك من خلال الشدة التي تعرَّض لها فحدثت له النجاة، ولولا ضعفه، وقلة حيلته؛ لما تعرَّض لتلك الشدة التي تطلبت النجاة. وإذا استلهم الناجي ذلك المعنى كان أبعد شيء عن البغي، لأنه لا يليق بالضعيف أن يبغي ويطغي، كما أن البغي لا يليق بالرشيد، وإنما يليق البغي: بالقوي السفيه.

لقد استقبح القرآن صدور البغي ممن أنجاه الله من شدَّة تعرَّض لها، إذ كيف يبغي وقد تبيَّن له بالدليل الواقعي ضعفه وحاجته، قال الله تعالى في شأن المشركين الذين أنجاهم من شدائد البحر: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يونس: ٢٣؛ والمراد

---

(١) انظر: الصحاح؛ مادة(بغي)، ولسان العرب؛ مادة(بغا).

(٢) انظر: المفردات للراغب ١/١٣٧.

(٣) قال ابن فارس:" الباء والغين والياء؛ أصلان: أحدهما طَلَب الشيء، والثاني جنسٌ من الفَساد". [انظر:مقاييس اللغة؛ مادة(بغي)].

(٤) انظر:جمهرة اللغة؛ مادة(بغي).

(٥) انظر: كتاب العين؛ مادة(بغي).

بالبغي في الآية: مجاوزة ما أمر الله به[١]؛ وذلك بالشرك[٢]، والكفر[٣]، والمعاصي[٤]، والجرأة على الله[٥]، ونشر الفساد[٦]، وبظلم الناس والاستطالة عليهم[٧]. قال أبو حيان: "جواب{لما}؛ بـ{إذا} الفجائية، ومجيء إذا وما بعدها جوابا لها؛ دليل على أنها حرف يترتب ما بعدها من الجواب على ما قبله من الفعل الذي بعد لما، وأنها تفيد الترتب والتعليق في المضي، والجواب بإذا الفجائية دليل على أنه لم يتأخر بغيهم عن إنجائهم"[٨]. قال الطبري:"يقول تعالى ذكره: فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنُّوا في البحر أنهم أحيط بهم، من الجهد الذي كانوا فيه، أخلفوا الله ما وعدُوه، وبغوا في الأرض، فتجاوزوا فيها إلى غير ما أذن الله لهم فيه، من الكفر به، والعمل بمعاصيه على ظهرها"[٩]. وقال ابن كثير:"قال الله تعالى:{فلما أنجاهم} أي: من تلك الورطة، {إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق} أي: كأن لم يكن من ذاك شيء"[١٠]، وكان عليهم أن يعتبروا بما جرى عليهم من الشدَّة فيرتدعوا عن البغي والمعاصي، أو يشكروا الله على نعمته بإنجائهم فيرعووا عن غيهم وسفههم، ففعلهم البغي بعد تحقق النجاة لهم يبين فساد معدنهم وسوء أخلاقهم، فلا هم اعتبروا بالمحنة والشدة، ولا هم شكروا الله على النجاة والنعمة.

---

(١) انظر:معالم التنزيل٤/١٢٨، وتفسير الخازن٢/٤٣٦.

(٢) تفسير مقاتل٢/٨٨.

(٣) انظر: الوجيزص٤٩٤، وتفسير الخازن٢/ ٤٣٦

(٤) انظر: الوجيزص٤٩٤، وتفسير القرطبي٨/ ٣٢٦.

(٥) انظر: الوجيزص٤٩٤.

(٦) انظر: تفسير السمعاني٢/ ٣٧٥، ومعالم التنزيل٤/١٢٨، والكشاف٢/ ٣٣٩.

(٧) انظر: معالم التنزيل٤/١٢٨، وتفسير القرطبي٨/ ٣٢٦، وتفسير المراغي١١/ ٩٠.

(٨) البحر المحيط٦/ ٣٥.

(٩) تفسير الطبري١٥/ ٥٣.

(١٠) تفسير ابن كثير٤/ ٢٥٩.